الفصل الثاني

ماهية وطبيعة الزواج

نُظم الزواج:

تُعتبر نُظم الزواج من أهم النظم البنيوية التي تؤثر في شكلية وفاعلية البناء الاجتماعي، حيث تؤثر نماذج التنشئة التي تعتمدها العائلة في الأطر الفكرية والسلوكية والأخلاقية التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وتحدد معالم الشخصية النموذجية التي يتسم بها الفرد والمجتمع؛ فنظم الزواج تلعب الدور القيادي والمؤثر في تغيير الصفات الذاتية والجماعية للأفراد وللمجتمع برمته، من خلال دور العائلة المهم والمؤثر في عملية التفاعل بين الجماعات وكافة المؤسسات الثقافية، والتربوية، والدينية والاقتصادية، فلا يجب أن تُدرس لعائلة من قبل العالم الاجتماعي وحده، بل يجب أن تُدرس من قبل العالِم الاقتصادي والعالِم السياسي والعالِم التربوي والعالِم الديني، نظراً لكونها منظمة اجتماعية مهمة تتأثر وتؤثر في المؤسسات الاقتصادية والسياسية والتربوية والدينية، ونظراً لكون أفرادها أعضاء في جميع مؤسسات وأجهزة وقطاعات المجتمع.

العائلة هي عبارة عن مُنظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية، وهذه الروابط هي التي تميز العائلة البشرية عن العائلة الحيوانية التي تخضع لأحكام ودوافع الغرائز، والشهوات والميول غير المهذبة.[1]

إن التحول والتجدد صفة أساسية من صفات السكان، فمقومات الفكر، والكثافة، والنوعية، تتغير من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن شخص إلى آخر، فالفكر يجب أن يكون مستعداً لمواجهة كل جديد، ولنشر الوعي والتحذير من المخاطر، لأن المقاربة الفلسفية للأمور تتجاوز النظرة العابرة والسطحية، فهي تحاول دراسة المواضيع من كل الجوانب، وتحاول بناء تشكيل منطقي مقنع يعتمد بالدرجة الأولى على وقائع بينة وحلول عملية تساهم في مواجهة التحديات التي تعترض الأسرة وتزعزع كيانها، ومواقفها، وقيمها الحياتية. وهذا التصدع الذي يصيب الأسرة يؤدي حتماً إلى التصدع في كافة نواحي المجتمع والدولة لأن الأسرة تعتبر المسؤولة عن زرع بذور القيم الأخلاقية، والكفاءة، والمهارة، وإعطاء الخبرة لأطفالها الذين ستكون لهم مساهمة فعلية في بناء الدولة.

يقول فرتهيمر: "عندما يعمل مجموعة من الناس سوياً، قلما يحدث أن يقتصر أمرهم على تكوين مجموعة من "الأنوات" المستقلة، بالعكس، يحدث غالباً أن يصبح المشروع العام محل عنايتهم المشتركة، فيعمل كل منهم كجزء له دلالته الخاصة في الكل..."

ويقول شولته: "أن الشخص داخل الـ "نحن" يشعر، ويفكر، ويعمل لا باعتباره "أنا" في مقابل أنوات أخرى، بل كعضو في جماعة. فنجد أن

1- الحسن إحسان محمد، العائلة والقرابة والزواج، الطبعة الثانية، بيروت دار الطليعة، ١٩٨٥.

عمله وفكره بل وإدراكه يتشكل تبعاً لعضويته في الجماعة".[1]

الزواج المنظم يساهم في بناء أسرة ناجحة لها تأثير عميق في استقرار المجتمع. "فإذا اهتزت القلوب بعاطفة واحدة، فليس ذلك نتيجة اتفاق تلقائي سابق يقره كل شعور فردي على حدى، وإنما يرجع السبب إلى أن هناك قوة واحدة تحرك القلوب جميعاً في اتجاه واحد، فكل فرد يتأثر بالمجموع...."[2]

وكان فريق من علماء النفس مثل: فروم وريتش قد اعتبر الدولة امتداداً للأسرة الأبوية، واعتبر فيبر (**Weber**) السلطة الأبوية تعني بمقتضى الخبرة الوضعية التي يمارس فيها شخص واحد السلطة داخل الأسرة أو العشيرة بوصفها تشكل غالباً وحدة اقتصادية معتمدة على التقاليد، وأهم سمات الأسرة الأبوية اعتمادها على علاقات السلطة والخضوع، وتسلط الرجال على النساء، وعلى قدسية التراث"[3].

الثقافة الموروثة، هي التي تنظم قضايا الزواج، والطلاق، والمهر... إلخ، والعقل العربي لم يتحرر من بعض الأعراف والتقاليد التي لم تعد تتماشى مع التطور العلمي والتقني، كما أنّ إطلاق حرية المرأة والأولاد أسهم في خلق جزء من المشاكل الأسرية.

ويرى الكثيرون من منظور تشاؤمي أن مستقبل الأسرة يبدو مظلماً وكئيباً نتيجة للأحداث الجارية في الوقت الحالي بسبب تعاطي المخدرات، والانهيار الاقتصادي، والبطالة وازدياد الصراع الطائفي، ونشوب الحروب، ومشاكل الطلاب، ... ما يتطلب زيادة الاهتمام بترسيخ

1- جماعة من المختصين، الإنسان والمجتمع، الطبعة الثالثة، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٨٣، ص ٣٤.

2- نفس المرجع، ص ٥١.

3- مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩ ص٤١.

الحيـاة الأسـرية، وإعـادة بنائهـا علـى قواعـد ثابتـة وضـبط الظـاهرات الاجتماعية التي تُضعف كيان الأسرة.

مفهوم الحيـاة الزوجيـة

الكثيرون يتخيلون الحياة الزوجية شهر عسل دائماً، بما لا يتفق مع مظهرهـا الحقيقـي. وهـذا يعـود إلى نقـص الإرشـاد والتوجيـه حـول هـذه المواضيع. وحين يَفهم الشباب الغاية من الحياة الزوجية، يتم فهم كافة القضايا الإنسانية بما فيها حياة الأسرة التي يجب أن تُبنى على واقع سليم، من خلال بناء الإنسان المفكر الناضج القادر على التكيف مع مختلف الظروف، والقادر على مواجهة الحياة بحكمة وعقلانية. وهذا الفهم يساهم في استقرار وتماسك الأسرة؛ ولا يجوز البحث في مشكلة الطلاق دون تحديد الإطار العام لهذه المشكلة، ودون معرفة كل الظروف المرافقة لتأسيس هذه العلاقة منذ بداية فترة التعارف بل وأكثر من ذلك يجب العودة إلى ظروف التنشئة التي ساهمت في تحديد شخصية الشريك أو الشريكة منذ الطفولة، أما في مرحلة المراهقة قد تتكون لدى الشباب من الجنسين اهتمامات خارج حدود الذات، مثل الاهتمام بتكوين أسرة، والاستقلال عن العائلة، أو التمرد على بعض الموروث من المفاهيم، فالمراهق لا يمكنه التحرر من الصور الكامنة في اللاوعي عنده والتي تعود للظهور بشكل ملفت عند أقل انفعال.

"ويُكثِر المراهقون الكلام عن المدرسة والنشاط والمواعيد الغرامية والجنس، والرياضة. ويزداد لديهم الاهتمام بمشكلات الزواج، وبدء الاستعداد لترك الأسرة وتكوين أسرة خاصة، ويرتبط تكون هذه

الاتجاهات لدى المراهق بخبراته وخلفيته الطبقية والاجتماعية والدينية، ونوع التعليم، والأصدقاء... ويكتسب المراهق مفاهيم واتجاهات يحرص الوالدان والمربون على غرسها وتعليمها. وفي نفس الوقت تتضح نتيجة للتغير الاجتماعي والتقدم العلمي عدم ملاءمة بعض الاتجاهات وزوال بعض القيم وعدم مناسبتها للعصر مما يعوّق ويعرقل رفاهية المجتمع وسعادته"[1].

"ومن أهم مطالب النمو الاجتماعي في مرحلة الرشد: اختيار الزوجة أو الزوج، وتكوين أسرة، وتربية أطفال... ويميل الرجل أو المرأة إلى الزواج ممن هم في مستواهم الاجتماعي والاقتصادي. لذا تنشأ الأسرة في إطار متقارب واضح من المعايير والقيم الاجتماعية. ويتوافق السلوك الاجتماعي للزوجين إلى حد كبير"[2].

"ومن جهة أخرى، لا ننسى أن هناك شباباً لهم رزانة متيقظة يودون أن يدركوا مدى المسؤوليات التي سيحملون أعباءها في إقبالهم على الزواج، وأن يجدوا الطرق الناجحة للإطلاع بهذه الأعباء على الوجه الأكمل... وما أكثر عدد الذين لا يعرفون كيف ولا أين يستقون المعلومات الشافية التي يتوقون إلى الوقوف عليها. إنهم يحجمون عن إرواء ظمئهم من الينابيع الملوثة مثل الجرائد والمجلات الإباحية أو على شاشة السينما، حيث تعالج الأمور بشكل بذيء، يحط بالأخلاق إلى أسفل الدرجات ـ ولا يجدون من سيزودونهم بمعلومات صحيحة للوقاية من الأخطاء التي غالباً ما تهدم سعادة الرجل والْمرأة في أول حياتهما الزوجية رغم ما يحمله كل منهما

1- زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، الطبعة الرابعة، عالم الكتب، القاهرة١٩٧٠ ص ٢٤٧/٢٥٠.

2- نفس المرجع ص٢٥٣.

للآخر في أعماق صدره من الحب الصادق الأكيد. إن المجتمع في وقتنا الحاضر لا يعتبر قوي الدعائم إلا إذا كان مرتكزاً على اتحاد أفراده وانصهارهم في بوتقة الزواج. أما إذا رجح عدد الزيجات التعيسة فإن هذه الأسس تتداعى وتشكل خطراً جسيماً على البلاد. فكثيرون هم الذين يتزوجون آملين أن يحصلوا على السعادة ولا يلاقون سوى الخيبة. ولهذا السبب غالباً ما يطالب أحد الزوجين باسترداد حريته والانفصال عن شريك حياته الذي لم يجمعه به الانسجام. أما الذين يرفعون أصواتهم بالشكوى فلا يخطر قط ببالهم أن علة شقائهم كامنة في جهلهم، فينسبونها إلى روابط الزواج التي ينعتونها بالقاسية الجائرة"[1].

إن الجهل وانتشار الأمية والنقص في التوعية الأسرية وعدم وجود التوافق بين الأم والأب مواضيع تشكل العوامل الأولى في تكوين شخصية المراهقين ورسم معالم تأقلمهم في حياتهم المستقبلية.

وما هو جدير بالملاحظة أن معظم المتزوجين يحاولون إخفاء مشاكلهم، ويدعون السعادة ويميلون إلى الظهور أمام الناس بمظهر مرغوب فيه اجتماعياً، حتى ولو كانوا يفكرون جدياً بالطلاق؛ ولهذا يمكن القول إن الطلاق ليس المؤشر الوحيد على وجود مشاكل داخل الأسرة، وعن فصل العلاقة بين الزوجين بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، بل الانفصال يظهر من خلال السلوك المتشنج غير المستقر بين الزوجين؛ وهذا السلوك المتشنج يتم توريثه للأبناء، وهذا الإرث من التوتر والفشل يترك أثره بشكل مباشر على مشاعر الأبناء وسلوكهم مع أزواجهم في المستقبل.

إذا تتبعنا الرأي العام لرجال الدين، والفلاسفة والمعلمين نجد أن

1- ماري ستوبس، السعادة الزوجية، الطبعة الثانية، دار الرائد،بيروت، ١٩٩٤ ص١١/٧.

غالبيتهم ينهجون منهجاً تشاؤمياً تجاه الأسرة الحالية، حيث يعتقدون أن سلطة الآباء قد انهارت، وأن المحرمات الجنسية ضعفت إلى حد كبير، وأن الأزواج غالباً ما يتمردون على بعضهم البعض.

الدوافع الأولى لاختيار الشريك

١- الوقوع في الحب:

يتزوج الناس لأسباب كثيرة، أولها الوقوع في الحب، وتظهر المحبة كحاجة أساسية عند الإنسان لا يستطيع أن يشبعها إلا من خلال علاقته بالآخر، فالحب يولد شعوراً بالأمان والراحة والقيمة الشخصية؛ ولكن في حالات المراهقة التي تُبنى على نسق من الانفعالات تترافق مع وجود حالة عدم النضج ما يجعل الفرد يؤول على طريقته الخاصة الواقع الذي يحيط به دون معرفة معنى الحب، فيكون التعلق في هذه الحالة مجرد شعور مزيف بين شخصين لا أكثر ولا أقل، ولكن بمرور الوقت أو بعد الزواج، تخف جاذبية العلاقة وتظهر المتناقضات التي تم تجاهلها سابقاً.

"ففي دراسة أجراها "بينو" تبين أن الرجال يتمكنون في السنوات الأولى للزواج من التحرر من هذه الجاذبية أو هذا الوهم أكثر من النساء، ويظهر اختلاف آخر عندما يمتد عمر الزواج، وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى معالجة النزاع أو الخلاف بين الزوجين فالملاحظ إن الأزواج يتبعون سياسة "التريث" في الرد عندما تقوم زوجاتهم بأفعال تتعارض مع توقعاتهم وعلى العكس من ذلك تبين إن الزوجات يقابلن انتهاك توقعاتهن بالثورة أو بالثرثرة، أو برد الفعل السلبي، وتتناقص مع مرور الوقت كذلك درجة المثالية الرومانطقية التي كانت تسبق الزواج،

وتبدأ في الظهور قيم جديدة تحل محلها."[1]

والزواج في القرن التاسع عشر كان يُعتبر بمثابة عقد اتفاق، ولم يكن الحب المتبادل بين شخصين يعتبر ضرورياً، لا لصالح الزوجين ولا لصالح العائلة، ولا لخير المجتمع، بل كان بالنسبة للمحافظين مجرد هوى أو شعور لا عقلاني، وهو يتناقض مع الانتظام ويقول "جان لاكروا" في مقدمة أحد كتبه عن المحافظين "إن دخول الحب على هذه الخلية الاجتماعية المبنية بصورة كاملة على الرتابة يؤدي إلى إفسادها."[2]

ويقول "رسل" في هذا الموضوع "إن الحياة الغريزة، حين تكون متحررة من تأثير العقل أو الروح، هي مجرد دورات غرائزية، تنتقل إلى إشباع الحاجات من خلال الأفعال الميلية التي اندفعت إليها. لا يتوجه الدافع والرغبة نحو الدورة كلها بل نحو بدايتها فقط، وتترك البقية لأسباب طبيعية. نحن نرغب في الأكل ولكن لا نرغب في التغذية إلا إذا كنا شديدي التفكير بأمر صحتنا. ولكن يصبح الأكل من دون التغذية مجرد لذة عابرة، وليس جزءاً من الدافع الشامل للحياة. يرغب الناس في المضاجعة الجنسية ولكنهم عادةً لا يرغبون الأولاد بشدة أو بشكل مستمر، ومن دون التأمل بالأولاد وتحقيق هذا الأمل تبقى المضاجعة الجنسية عند أكثر الناس مجرد لذة منعزلة ومنفصلة لا توحد حياتهم الخاصة مع حياة المجموعة البشرية، وغير قادرة على تحقيق ذلك الشعور العميق بالاكتفاء الذي يأتي من خلال الاكتمال بالأولاد."

رسل يعتبر أن السعادة لا تكتمل إلا عن طريق الإبداع، فالمبدع لا

1- الخولي سناء، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت ص٢١٢-٢١٣.

2- مجلة الفكر العربي، العدد الثالث والثمانون، ١٩٩٦، ص٢٥.

تكتمل سعادته دون أن يبتدع شيئاً جديداً كلوحة فنية مثلاً، أو قصيدة شعرية، أو علم . إن حياة الغريزة وحدها لا تولد غير الحسد والغيرة وهي تقتل روح الخلق والإبداع. "والناس الذين تغيب هذه الغريزة عن أنفسهم نجدهم مترفعين وذوي تكبر، وينقلب الناس الذين تُكبت فيهم الغريزة عن قصد إلى منابع للعداوة الغريزية." الغريزة الفارغة بالنسبة إلى رسل مجرد لحظات منفصلة من النشوة العابرة وأكثرها ممتلئ بالغم وثبط العزيمة. وما يرفع الإنسان إلى درجة أرقى من الحيوان هما العقل والروح، ويمكن أن يكون حب الزوج والزوجة شيئاً عظيماً جداً، إذا اعتمدا الحياة البدائية الطبيعية التي توازن بين العقل والغريزة. فحياة الروح تتطلب في بعض الأحيان استعداداً لنكران الذات عندما تدعو الحاجة إلى ذلك.

إن حاجة الإنسان إلى الشعور بالحب هي حاجة أساسية تستمر مدى الحياة؛ والناس الذين يسترشدون بالعقل يتحدون فيما بينهم، عكس الناس الذين لا ينشدون غير المصالح الشخصية، والأنانية التي تدمر الآخرين كما تدمر ذاتها. ولعل أكثر ما يرهق مجتمعنا اليوم هو السعي نحو اللذة واللذة الرخيصة؛ إن الإباحية التي ترمي بظلالها القاتم تدمر كيان المجتمع، فلا الزواج بات مستقراً، ولا المراهق بات مطمئناً، والنتيجة أسر مدمرة، وأبناء ضائعون، ونساء معنفات يحتقرن نفوسهن، وإدمان وبغاء.

الحب يتطلب التضحية، والسعادة تكمن في طلب الملذات السامية النبيلة، لا الملذات الأولية، كي لا يفقد الحب معناه النبيل.

"ولكن مما يؤسف له أن ديمومة "الغرام والهيام" في اختبار الحب هي خرافة، وليست حقيقة". "وقد أجرت إحدى المختصات البارزات بعلم النفس دراسات مُسهبة في ظاهرة الافتتان. فبعد استعراض عشرات الزيجات،

استنتجت أن معدل عمر الاستحواذ العاطفي سنتان. وإذا كان علاقة غرامية مميزة، فقد يدوم أكثر قليلاً ... وبعدها عالم الحياة البيتية بكل ما فيها من واجبات وأمور قد تبدو تافهة إلا إنها كثيراً ما تكون موضع جدل ... ولو بقي الناس في حالة الغرام والهيام لبتنا جميعاً في مأزق خطر، ذلك لأن من تسيطر عليهم حالة الافتتان يفقدون الاهتمام بغير الحب... فالطالب الجامعي الغاطس حتى أذنيه في الحب تأخذ علاماته بالتدني، ...حيث يغلب الخيال عل تفكيره دائماً[1] وهذا الافتتان ليس سوى مراهقة بعيدة كل البعد عن الواقع الأسري، ففي إطار الزواج يختلف الوضع، فالعطاء هو حاجة ضرورية لاستمرار الزواج وعندما تتعاظم الاختلافات لا يمكن تناسيها ولا يمكن كبح مشاعر الغضب إلا إذا عملنا على بذل المزيد في سبيل إرضاء الآخر **﴿أعطوا تُعطوا. كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم﴾** (لوقا ٦:٣٨)

الزواج علاقة يجب أن تُبنى على التفاهم والتضحية وبذل النفس في سبيل المصلحة المشتركة، ولا تكفي نظرات الإعجاب فقط لبناء حياة هادئة مريحة، العلاقة السليمة تنشأ في جو من الاحترام المتبادل والتآلف وقبول الآخر وليس التملك والأنانية؛ وبدون التضحية المتبادلة يتعذر استمرار الحب. الحياة مركبة من الكفاح والسعي، ولا تخلو من القلق والهم والظروف القاسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار ويجب الاستعداد لتحملها والمشاركة في حمل المسؤولية.

٢- الرغبة الجنسية:

إن الزيجات التي تقوم على أساس الانجذاب الجنسي فقط سرعان ما

1- غاري اتشيمان، لغات الحب، منشورات النفير، الطبعة الاولى بيروت ١٩٩٨، ص٣٢.

تتحطم عند أول مشكلة عابرة. وعندما لا يكون هناك توافق بين الأزواج وحين لا توجد المحبة الصادقة والدافئة تنهار الحياة الزوجية. التكامل الحقيقي في الزواج يعتمد على العوامل النفسية أكثر مما يعتمد على العوامل الجسدية، وبصفة خاصة عند النساء، فمعظم النساء تحتاج إلى العاطفة، أكثر مما تحتاج إلى الجنس، وعدم احترام الزوجة والتمادي في جرح مشاعرها يؤدي بها حتماً إلى التحجر في العاطفة، والنفور من الزوج. ولا بد من التذكير بأن المرأة تمر بفترات عصيبة أثناء الحمل أو ما بعد الولادة، وكذلك في مرحلة سن اليأس وما يرافق هذه المرحلة من كآبة وتوتر وعدم رغبة في العلاقة الجنسية، وهذه أمور لا يتم مراعاتها من قبل بعض الأزواج، إما عن جهل في هذه الأمور، أو بسبب الأنانية وعدم الاهتمام لصحة وحاجات الزوجة.

"يقول الدكتور فوريل في كتابه "المسألة التناسلية" إن غشيان بؤر الدعارة يجعل الرجال عاجزين عن فهم نفسية المرأة ووظائفها التناسلية، لأن المومس ليست إلا آلة مدربة على إثارة شهوة الرجال بأساليب وحركات آلية، وعندما يبحث الرجل عن نفسية المرأة وهو في أحضان مومس لا يقع إلا على مرآة نفسه."

وقد ذكر أحد القضاة أن أكثر الأزواج الذين تقدموا إليه طالبين الطلاق كانوا يلمحون بأن زوجاتهم لا تعرفن أساليب الغنج والدلال التي ألفوها في أحضان بنات الهوى، واستنتجوا من هذا أن الزوجة التي لا تقابل اندفاع زوجها باندفاع مثله تكون إما عاشقة غيره ولهذا لا تكترث لمشاعر زوجها، أو هي ذات عيب تناسلي يجعلها باردة كالثلج جامدة كالصخر. إن هذا الفريق من الرجال الذين اختبروا الممارسة الجنسية قبل الزواج أو الحب الرخيص مع بائعات الهوى يقارنون دائماً بين زوجاتهم وبين من جربوا بالزنى. وهذا يجعلهم بعيدين كل البعد عن الحقيقة

العلمية، فالعلاقة بين الزوجين لا يمكن برمجتها أو قولبتها حسب بعض المؤثرات الإباحية الرخيصة أو بعض الحركات التي تتقنها المومسات والتي كانت السبب المباشر في خراب الكثير من البيوت، ودفع المراهقين إلى الانحراف، وخلق الكثير من المشاكل الصحية والنفسية.

إن العلاقة الجنسية تدخل ضمن المواضيع المؤثرة على الحياة الزوجية بشكل مباشر، ولكن يجب أن نعرف بأن هناك فرق بين العلاقة الجنسية في أثناء شهر العسل، والعلاقة الجنسية الفعلية التي يمارسها الزوجان فيما بعد. وحين لا يعرف الشخص هذا الفرق، سينتج عن ذلك خيبة أمل كبيرة تنتهي دائماً بصراع مستمر وعنيف.

"فالإحصاءات تشير على أن غالبية الرجال يرغبون في ممارسة العلاقة الجنسية باستمرار، لكن أغلبية النساء بعد شهر العسل وبعد الإنجاب تقل رغبتهن في العمليات الجنسية وقد تكتفي المرأة بمرة أو مرتين في الشهر أو بعض المرات في السنة. ومنهن من تنفذ رغبتهن نهائياً. وهذا بالطبع يوّلد صراعاً عنيفاً."[1]

المرأة تعشق جمال الرجل للنظرة الأولى ولكنها بعد الزواج تعشق روحه فإذا لم تكن روحه تستحق العشق، فإن مظهره الجميل لن يشفع له وسينتهي هذا الزواج إلى الطلاق لأن الزواج ليس وظيفة بدنية جنسية فحسب ولكنه عمل عقلي وروحي يعتمد على العوامل النفسية والمعاملة الجيدة أكثر مما يعتمد على الجنس، فالعقل عند المرأة بصفة خاصة يقوم بدور كبير في تنظيم الحياة الجنسية، إذ يجب أن تكون الزوجة في حالة عقلية

1- كارول وسيرج فيدال، المشاجرة بين الزوجين، السعودية، مكتبة العبيكان، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٧، ص٢٨.

وعاطفية لائقة حتى تستجيب للمهيجات الجنسية. ويعني ذلك بالنسبة للنساء تلقي درجة معينة من الحب والوداد، وهناك أعمال صغيرة بين الزوج والزوجة تظهر هذا الود، كالتأدب في المعاملة، والتقدير المتبادل، والحنان، والإخلاص، واعتماد كل منهما على الآخر، هذه الأمور يحتمل كثيراً أن تنبه الاستجابة الجنسية لدى الزوجة فيما بعد أكثر من مجرد الأعمال المادية... "إن الحياة الجنسية لدى النساء تختلف كلياً عن الحياة الجنسية لدى الرجال، ولهذا يعتبر التوافق الفكري في الحياة الزوجية هو الأساس، وهذا التوافق قد يصعب تحقيقه في بداية الحياة الزوجية، ولكن بالصبر والحكمة، والرغبة في الاستمرار يمكن التوصل لفهم مشترك من أجل بناء أسرة ناجحة، فالحياة الزوجية تقوم على العطاء والتضحية، لا على الأنانية والمصالح الشخصية. وإذا كان هناك بعض الانزعاج من تصرف ما، فالنقد يجب أن يكون بطريقة مهذبة، لأن التهكم والسخرية من الأمور المدمرة للعلاقة، وإظهار عيوب الآخر بشكل فاضح خاصةً أمام الآخرين يؤذي مشاعر الشريك. ولا يجوز أن نتوقع من الشريك أن يكون مرآة ذاتنا، فلكل إنسان طبائعه وميوله التي لا يمكنه تغييرها بسهولة، والعلاقة الجنسية لا تستمر على وتيرة واحدة، فهي تتغير حسب الظروف؛ بعض الأزواج يتوقفان عن ممارسة الجنس لأسباب كثيرة، عدم توفر الوقت مثلاً، أو عدم توفر المكان المناسب، أو بسبب مرض أحد الأولاد، في هذه الحالة لا تكون العلاقة الجنسية موضوع المشاجرة، ولكنهم حين يدخلون في صراع حاد ومفاجئ، تكون المصالحة عن طريق العلاقة الجنسية هي تخفيف لهذا الصراع. وتتغير الفروق الجنسية بتغير الظروف الزوجية، وبتغير خبرة التنشئة الاجتماعية فتربية البنات تختلف عن تربية الأولاد، إن العوامل

الثقافية، والدينية، والتقاليد السائدة تعمل على تحديد الثقافة الجنسية من جيل إلى جيل. هناك الكثير من العادات المتغيرة، والثقافات الوافدة تضرب بالتقاليد عرض الحائط وخاصة عند فئة المراهقين. "وإن أحد التأثيرات السيئة على العلاقات بين الرجال والنساء قد سببتها الحركة الرومنطيقية بتحويلها الانتباه إلى ما يجب أن يكون خيراً عارضاً وليس إلى الغاية التي من أجلها تنشأ العلاقات. أن الحب بين شخصين ضيق كثيراً ومنفصل عن المجتمع ولا يصلح ليكون بمفرده الغاية الرئيسية في حياة فاضلة".[1]

الجنس في المجتمعات المحافظة

"يفهم الجنس في المجتمعات الشرقية المحافظة من جانب واحد. وحين يتم سؤال الناس في هذه المجتمعات عن مفهوم الشخص الأخلاقي والشخص الغير أخلاقي، يقدم معظمهم أوصافاً تدل على أن الشخص الأخلاقي هو الشخص العفيف جنسياً والغير أخلاقي هو المتحرر أو "المنحل" في مسائل الجنس، هذا التوحيد بين الأخلاق وبين الجانب الجنسي من سلوك الناس له دلالاته الخطيرة؛ فهو أولاً يدل على اهتمام مفرط بالجنس، ينشأ عن قسوة الحرمان وصرامة القيود في المجتمع الشرقي المحافظ. إن هذه الصرامة في النظرة إلى الجنس تخفي وراءها نفاقاً شديداً لا يملك المرء إلا أن يتشبع به منذ حداثته إذ أن قدراً كبيراً من المحرمات التي نفرضها في مجال الجنس ترجع إلى الرغبة الخفية فيه، وكثير من المتزمتين لا يبدون هذه الصرامة إلا لكونهم محرومون، بحيث تكون قسوتهم وصرامتهم مجرد مظهر سلبي للرغبة العارمة في

1- راسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص١٥٥.

ارتكاب كل ما يحرمونه على الغير. ومن المؤكد أن شبابنا الذي ينشأ موزع النفس، بين التحريم الشديد الذي يفرضه المجتمع، وبين الرغبة القوية التي تزيدها لديه الحواجز المفروضة على الاختلاط بكل أنواعه ودرجاته، لا بد أن ينتهي به الأمر إما إلى أن يساير ركب النفاق الاجتماعي فيدعي لنفسه ورعاً لا يؤمن به في قرار نفسه وإما يلجأ إلى الأساليب الهروبية، كإدمان النكات الجنسية، أو ما هو شر من ذلك".[1]

والأغرب من ذلك الأب يربي بناته على ضرورة التعفف والشرف، ولكن تصرفاته الشخصية لا تدل على ما يتظاهر به. والشاب حين يفكر في الزواج يختار الفتاة المتعففة، بينما يستمر البعض في التفتيش عن المتعة الرخيصة خارج المنزل؛ لأن الزوجة التي نشأت على الثوابت المحافظة لا تستطيع التخلص منها ولن تكون الزوجة التي ترضي مزاجية الزوج الذي لا يهتم لغير الشهوة البهيمية ولا ينظر إلى النواحي الإيجابية الأخرى لديها، فكثيراً ما نرى زوجات مثاليات ولكنهن غير سعيدات في علاقتهن مع أزواجهن. وهذا ليس بسبب عيوب عند الزوجة المسكينة، إنما العيب في تنشئة الزوج الذي لا يوازن بين حقوقه وحقوق زوجته. وكل ما يُقال عن امرأة باردة كالثلج كلام غير صحيح من الناحية العلمية أو البيولوجية، والصحيح هو أن الزوجة التي يُقال عنها أنها باردة ولا تتمكن من إشباع رغبة الزوج، إنما هي ضحية، ضحية التربية التي تلقتها، وضحية الكبت، وضحية قسوة الزوج حين يعاملها كآلة صماء يحركها حسب أهوائه وميوله، ولا يقيم وزناً لمشاعرها، ولا للقيم ولا للأخلاق التي ينبغي أن تراعي هذه الناحية المهمة في حياة البشر؛ فالزواج حسب الأصول والشرع

1- زكريا فؤاد، مشكلات الفكر والثقافة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص١٧٦.

هو الطريق الأمثل للحد من الانحراف ولوضع ضوابط، ولو تُركت هذه الناحية دون ضوابط ما عاد هناك ما يميز الناس عن باقي الحيوانات.

وقد ساهمت الحياة المدنية العصرية في جذب الانتباه إلى المواضيع الإباحية، من خلال التأثير على اتجاهات وميول الأفراد عبر التلفاز والمجلات واللافتات التي تركز على مواضيع العلاقة الجنسية مما يخلق صراعاً قوياً لدى المراهقين . وخاصةً هؤلاء المتمسكين بالقيم والأخلاق.

إن الحكمة من تشريع الزواج كانت لضبط وكبح جموح الشهوة وللمحافظة على سلامة النسل، وتخفيف المعاناة النفسية والجسدية، لأن الأسلوب الأفضل في الحياة يستهدف خير النفس والجسد معاً؛ والقيم الخُلقية والدينية تعمل على تنظيم حياة الأفراد وتأمين سعادتهم وتحد من تأثير المفاهيم الزائفة التي لا تسبب سوى الألم والخيبة.

إن موضوع اللذة كان محط اهتمام رجال الدين والفلاسفة والعلماء لتنظيمها ووضعها ضمن الأطر السليمة؛ وإذا أخذنا "أفلاطون" مثلاً: فقد اعتبر أفلاطون أن المسرات المفيدة خيّرة لأنها تصنع الخير، والمسرات المؤذية شريرة لأنها تصنع بعض الشر، فالحياة السعيدة هي الحياة المعتدلة الحكيمة. وكبح جموح الرغبات خير للنفس من التطرف ويؤكد أفلاطون هذا بقوله:

"أني أؤكد أن من يرغب في السعادة عليه أن يطلب الاعتدال ويهرب من التطرف بأقصى سرعة تستطيعها رجلاه... هذا ما يبدو لي أنه الهدف الذي يجب أن يتوخاه الإنسان ويجب أن يوجه إليه كل جهده، وجهد الدولة، عاملاً على أن يظفر بالاعتدال والعدالة في نفسه ويكون سعيداً، غير تارك لشهواته العنان يحاول أن يشبعها فلا تشبع وتفضي به إلى حياة لص، مثل هذا لا يكون صديقاً لإنسان، أو لإله، لأنه غير قادر على

المشاركة فهو غير جدير بالصداقة."[1]

"إن الحياة المفضلة ليست الحياة الخالية من الحكمة ولا حياة الحكمة الخالية من اللذة بل حياة خليط من الاثنين أي حياة لذة، وعقل، وحكمة. فإذا حييت حياتك برمتها مستمتعاً بأعظم الملذات ولم تحرز عقلاً ولا ذاكرة ولا علماً ولا رأياً صحيحاً صادقاً، فمن الضرورة الأكيدة قبل كل شيء، أن تجهل هذا الواقع بالذات، وهو كونك تعيش في حبور أم لا، إذ أنك خالٍ من كل إدراك".[2]

واعتبر أفلاطون: أن اللذة تتولد أحياناً على أثر ظن كاذب يعتقد المرء أنها لذة ولكنها تسبب الألم عندما تحول سمعة بعض الأشخاص "مقبحة". أو تؤدي إلى فساد الجسد.

إن الدين والفلاسفة يرفضان رفضاً قاطعاً الملذات المسببة للألم ويقبلان الملذات الخالية من الآلام فالحياة الصالحة خليط من حياة العقل وحياة اللذة ولكن الغلبة يجب أن تكون للحكمة والعقل والمعرفة.

ولعل أكثر ما يرهق مجتمعنا اليوم هو السعي نحو اللذة واللذة الرخيصة، إن الإباحية التي ترخي بظلالها القاتم تدمر كيان المجتمع، فلا الزواج بات مستقراً، ولا المراهق مطمئناً، والنتيجة أسر مدمرة، وأبناء ضائعون، ونساء معنفات يحتقرن نفوسهن، وإدمان وبغاء. وتماماً كما قال أفلاطون السعادة تكمن في طلب اللذة النبيلة السامية لا اللذة الأولية، ولا يجوز أن تكون لذة فرد السبب المباشر لآلام آخرين.

"ستيوارت مل" يعتبر الشقاء أفضل من الأنانية "أن يكون المرء شقياً

1- حرب حسين، أفلاطون، دار الفكر اللبناني، ص١٧٧.

2- نفس المرجع، ص١٧٨.

أفضل من أن يكون خنزيراً راضياً." فالناس الذين ينشدون الخير العام ويكابدون من أجل ذلك أفضل من الناس الذين لا يفكرون بغير مصالحهم الهزيلة، والأنانية في معظم الأحيان تدمر ذاتها قبل أن تدمر الآخرين. ولا شيء أفضل من وجود الله في حياة الإنسان، فهو يُمكنه من مصاحبة الفضيلة، ويساعده على الانتقال من اللذة الآنية العابرة إلى لذات أخرى مفيدة تبعد الإنسان عن الملل وتبعث فيه النشاط والطموح.

٣- الرغبة في الاستقرار وتأسيس عائلة:

تتنوع الرغبات أو الحاجات عند الإنسان فهناك حاجات جسدية وحاجات نفسية؛ فالحاجة إلى الحب والعطف والاستقرار مع العائلة هي من أهم الحاجات التي يتوق إليها الناس. والزواج الذي يُبنى على هذه الأسس، مع وجود التوافق بين الزوجين يكون أمراً محترماً ومتيناً. الزواج هو أفضل وسيلة لبناء حياة هادئة مريحة، فهو يعني الصحبة التي تكفل لكل من الزوج والزوجة الهناء والاستقرار. ومعظم الأفراد يفضلون بناء أسرة متماسكة، ويصابون بخيبة أمل حين لا يستطيعون ذلك. وهو أيضاً من سنن الأنبياء، باركه الله لأجل تكوين أسرة صالحة، ومن أجل استمرارية الحياة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف /١٨٩)

﴿وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملؤوا الأرض واخضعوها﴾ (تك ١:٢٨)

هذه وصية الله التي وجهها إلى الذكر والأنثى والتي لا يجوز التفريط بها. ولكن مع تطور المجتمعات هل مازال الزواج يعبر عن هذا المفهوم؟.